بتعدد النغمات والتأليف بينها . وربما لاحظت أكثر من ذلك أن الناس يستعيدون ويتمارون ويختصمون . وهذا كله متميز من التفكير المتأنى . لنلاحظ فى هذا السياق أن الناس مشغولون بالطرب والشهوة . هناك طفل واحد فى هذا العالم يفكر ويغرق فى التفكير ، ومع ذلك فقد سيق التفكير والإغراق فيه فى مساق الأرانب وأبى زيد وخليفة ودياب والشاعر والنغمات والخصام ، فمضى فى عقولنا حرا خفيفا هادئا لا يكاد أحد يحفل به .

لاأدرى هل بلغت من عقل القارىء ماأريد . خيل إلىّ أن الدكتور طه أعاد تمثيل العلاقة بين الرائد والمجتمع . خيال إلى أن الدكتور طه تمثل العلاقة الطيبة التى يرجوها ، تمثل الخصام فى إطار اللعب والطرب والنشوة . ولكن خصام الكبار فى المجتمع لا ينجو كثيرا من الحدة والغلو .

فى ضوء الجدل بين الطفل والرجل المكتمل الخَصِم المناقش على الدوام يمكن أن يتساءل المرء أسئلة كثيرة . حينما بلغ مكان الرائد خيل اليه أن النور هادىء خفيف لطيف ، كأن الظلمة تغشى بعض جوانبه . لننظر إلى قبول الظلمة والنور الهادىء والقناعة الغريبة . لننظر إلى رجل يجادل نفسه أولا : طه حريص على أن يميز بين النور والظلام . ولكنه حريص على أن يقول ضمنا إننى لا أعرف ـ تماما ـ هل كنت فى حاضرى موفقا فى هذا التمييز . أما كان من الأجدى أن يعيش المرء فى طفولة تنعم بالنور الضئيل ، ولا تخاصم الظلمة خصاما حادا . هل من سبيل إلى مصالحة مجتمع يرمز اليه بهذه الصورة الحالمة .

انظر إلى مجادلة الدكتور طه للحاضر أو المجتمع وعقله حين قال فى قص لطيف : « ثم يرجح ذلك لأنه يكاد يذكر أنه حين تلقى هذا الهواء وهذا الضياء لم يؤنس من حوله حركة يقظة قوية ، وإنما آنس حركة مستفيقة من نوم أو مقبلة عليه». الفن غريب ، كيف يمكن أن يتجاهل القارىء المتأنى هنا صورة الإقبال على النوم التى تختلط بعض الاختلاط بالإقبال على اليقظة الأولى . كيف يمكن أن نتجاهل مابين أيام الدكتور طه وأيام المجتمع من تشابه .

فى الأيام إذن يعيد الدكتور طه تأليف قصة الصلح والخصام . قصة الحوار . قصة الاستعادة والمماراة . الدكتور طه إذن يحلل الموقف تحليلا غير مباشر . أرأيت كيف